

(٨٤) سورة الانشقاق

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة آياتها خمس وعشرون نزلت بعد سورة الانفطار، تناولت الحديث عن أهوال يوم القيامة، فذكرت بعض مشاهداتها وصوّرت الانقلاب الهائل الذي يحدث في الكون عند قيام الساعة، ثم تحدثت عن خلق الإنسان الذي يكذب ويتعب للحصول على رزقه، ليقدم لأخوته ما يشتهى من صالح وطالح ومن خير أو شر ثم هناك الجزاء العادل، وتناولت موقف المشركين من القرآن العظيم وأقسمت بأنهم سيلقون الشدائد والأهوال في ذلك اليوم العصيب.

وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم مع وضوح الآيات والبراهين الدالة على وحدانية الله.

وقد سميت بسورة الانشقاق، حيث ذكر حادث انشقاق السماء وهذا بيان لأهوال يوم القيامة، وبيان ما يحدث فيها من كوارث عظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأَلَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا فَمُلْقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَرَ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا يُسْرًا ⑧ ﴾

معاني المفردات:

السماء انشقت: تصدّعت أذنت لربها: استمعت وانقادت له تعالى

حُقت: حُقَّ لها أن تستمع وتنفاد الأرض مُدَّتْ: بُسِطَتْ وَسُوِّتْ

أَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ : لَفِظَتْ مَا فِي جَوْفِهَا وَخَلَّتْ عَنْهُ غَايَةَ الْخَلْوِ
كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ : جَاهِدْ فِي عَمَلِكَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّكَ.

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة ببيان أهوال يوم القيامة فيقول سبحانه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَقَتْ﴾ أى تشققت وتصدعت مودنة بخراب الكون قال الألوسي: تشق لهول يوم القيامة ﴿وَأُذِنتُ لِرَبِّهَا وَخُفَّتْ﴾ أى واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمة وحق لها أن تسمع وتطيع وأن تشق من أهوال يوم القيامة^(١) ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أى وإذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها، وصارت مستوية لابناء فيها ولا وهاد ولا جبال ﴿وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أى رمت ما فى جوفها من الموتى والمعادن وتخلت عنها، قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلت عنهم، وألقت ما فى بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقى الحامل ما فى بطنها من الحمل^(٢) ﴿وَأُذِنتُ لِرَبِّهَا وَخُفَّتْ﴾ أى واستمعت لأمر ربها وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع. وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل وتقديره لقى الإنسان من الشدائد والأهوال ما لا يحيط به الخيال ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الخطاب هنا عام لكل إنسان أى أنت يا بن آدم جاهد ومُجِدِّدٌ بأعمالك التى عاقبتها الموت، والزمان بطير وأنت فى كل لحظة تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقى ربك فيكافئك على عملك إن تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقى ربك فيكافئك على عملك إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، ثم ذكر تعالى انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ يَمِينَهُ بِحَمِيدِهِ﴾^(٣) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أى فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فهذه علامة السعادة وسوف يكون حسابه سهلا ميسرا.

(١) روح المعاني ٧٨/٣٠.

(٢) القرطبي ٢٦٨/١٩.

الإعراب:

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ	إذا ظرف زمان للمستقبل، السماء فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير إذا انشقت السماء انشقت، لأن إذا الشرطية يختص دخولها على الجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه بمؤوله محافظة على قاعدة الاختصاص.
وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	الواو عاطفة، أذنت فعل ماض مبني، لربها جار ومجرور متعلقان بأذنت، حُقَّتْ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي، واعلم أن الفاعل في هذا التركيب هو الله عز وجل أي حَقَّ الله عليها ذلك أي سمعه وطاعته.
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ	الجملة معطوفة على ما سبق ومماثل للجملة الأولى في الإعراب.
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ	الجملة أيضاً معطوفة على ما تقدم، ألقت فعل ماض والفاعل مستتر، ما اسم موصول في محل نصب مفعول به، فيها جار ومجرور متعلقان بألقت، وتخلت معطوف على ألقت.
وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	سبق إعرابها.
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ	يا حرف نداء مبني، أَيُّهَا منادى مبني على الضم والهاء للتثنية، الإنسان نعت مرفوع، أو بدل، إنك إنَّ واسمها، كادح خبر إن مرفوع إلى ربك جار ومجرور متعلقان بكادح، كدحاً مفعول مطلق منصوب، فملاقية الفاء عاطفة وملاقية معطوف على كادح ويجوز أن تكون خبر لمبتدأ محذوف أي فأنت ملاقيه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِئْسَ مِثْقَالُهُ	الفاء استثنائية، أمّا حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، أُوتِيَ فعل ماضى مبنى للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو. كتابه مفعول به ثان منصوب، بئس جار ومجرور ومتعلقان بأوتى.
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	الفاء رابطة لجواب الشرط، سوف. حرف استقبال، يحاسبُ مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، حسابا مفعول مطلق منصوب، يسيرا نعت منصوب.

﴿ وَنَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ نَّحْمُورَ ۝ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِمُبْصِرًا ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقِ ۝ ﴾

معاني المفردات:

يدعو ثبورا: يطلب هلاكا
لن يحور: لن يرجع إلى ربه
بالشفق: بالحرمة فى الأفق بعد الغروب
ما وسق: ماضم وجمع
طبقا عن طبق: حالا بعد حال

يدعى سعيরা: يدخل النار يقاسى حرها
فلا أقسم: أقسم ولا زائدة
لتركبن: لتلاقن

التفسير:

تحدث الآيات الكريمات عن المؤمن بعد حسابه أى يرجع إلى أهله فى الجنة
مبتهجا مسرورا بما أعطاه الله من الفضل والكرامة أى وأما من أعطى كتاب أعماله
بشماله من وراء ظهره، وهذه علامة الشقاوة أى يصيح بالويل والثبور، ويتمنى
الهلاك والموت أى يدخل نارا مستعرة يقاسى عذابها وحرها أى لأنه كان فى الدنيا
مسرورا مع أهله، غافلا لاهيا لا يفكر فى العواقب ولا يخطر بباله الآخرة أى إنه

بلى وسيعيده الله بعد موته، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها، فإنه تعالى مطلع على العباد، لا تخفى عليه خافية من شئونهم لا لتأكيد القسم أى فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس أى وبالليل وما جمع وما ضم إليه، وما لف ظلمته من الناس والدواب والهوام قال المفسرون: الليل يسكن فيه كل الخلق، ويجمع ما كان منتشرا فى النهار من الخلق والدواب والأنعام، فكل يأوى إلى مكانه وسربه، ولهذا امتنَّ الله تعالى على العباد بقوله فإذا جاء النهار انتشروا، وإذا جاء الليل أوى كل شئ إلى مأواه أى وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوءه ونوره، وصار بدرا ساطعا مضيئا هذا جواب القسم أى لتلاقن يا معشر الناس أهوالا وشدائد فى الآخرة عسيبة، قال الألوسى: يعنى لتركبُنَّ أحوالا بعد أحوال، هى طبقات فى الشدة أرفع من بعض، وهى من الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها^(١) قال القرطبى: المراد أنهم يلقون من الشدائد يوم القيامة وأهوالها أهوالا^(٢).

الإعراب:

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا	الواو عاطفة، ينقلب مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، إلى أهله جار ومجرور متعلقان بينقلب، مسرورا حال منصوب بالفتحة الظاهرة.
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	الواو عاطفة، أما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول بمعنى الذى فى محل رفع مبتدأ، وأوتى فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر، كتابه مفعول به ثان منصوب، والهاء فى محل جر بالإضافة، وراء ظرف منصوب بنزع الخافض أى أوتى كتابه من وراء ظهره، ظهره مضاف إليه مجرور.

(١) روح المعنى للألوسى ٨٢/٣٠.

(٢) تفسير القرطبى ٨٠/٣٠.

الفاء رابطة وجملة سوف يدعو فى محل رفع خبر مَنْ، ثورا مفعول يدعو أى ينادى هلاكه بقوله يا ثوراه، يصلى عطف على يدعو وسعيرا مفعول يصلى منصوب.	فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصَلُّ سَعِيرًا
إنه إنَّ والضمير فى محل نصب اسمها، كان فعل ماضى ناسخ، اسمها ضمير مستتر تقديره هو، فى أهله جار ومجرور فى محل نصب حال وجملة كان واسمها فى محل رفع خبر إنَّ، مسرورا خبر كان منصوب.	إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مُسْرُورًا
إنَّ واسمها، ظنَّ فعل ماضى مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر ثان والظن هنا العلم واليقين وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، لن حرف نفى ونصب، يحور فعل مضارع منصوب وجملة لن يحور فى محل رفع خبر إن وأن وما فى حيزها سدت مسد مفعولى ظن.	إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنْ لَنْ يَحْجُورَ
بلى حرف جواب مبنى، إنَّ حرف توكيد ونصب، ربه اسم إنَّ وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن واسم كان ضمير مستتر وبصيرا خبر كان.	بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِم بَصِيرًا
الفاء هى الفصيحة لأنها فى جواب شرط مقدر، أى إذا عرفت هذا أو إذا تحققت الرجوع بالبعث فلا أقسم، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل، بالشفق جار ومجرور متعلقان بأقسم.	فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ
والليل عطف على الشفق.	وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	والقمر معطوف أيضا على ما سبق ، إذا ظرف خال من معنى الشرط متعلق بفعل القسم أى وقت الساعة ، اتسق فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر.
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ	اللام جواب القسم تركبُنَّ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون نون التوكيد الثقيلة ، طبقا حال منصوب أو مفعول به عن طبق جار ومجرور فى محل نصب صفة لطبق أى طبقا مجاوزا الطبق ^(١) .

﴿ فَمَا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٤﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴿

معانى المفردات:

يوعون: يضمرون أو يجمعون من السيئات غير ممنون: غير مقطوع

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ فَمَا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهام يقصد به التوبيخ أى فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت ، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على وقوعه ؟ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أى وإذا سمعوا آيات القرآن ، لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن ؟ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴾ أى بل طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود ، ولذلك لا يخضعون عند تلاقيه ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أى والله أعلم بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب قال ابن عباس: "يوعون" أى يضمرون من عداوة الرسول ﷺ والمؤمنين^(٢) ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى أى فبشرهم على كفرهم وضلالهم

(١) راجع أعراب القرآن الكريم وبيانه لمعى الدين الدريش المجلد العاشر.

(٢) البحر المحيط ٤٤٨/٨ .

بعذاب مؤلم موجه، واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى لكن الذين صدقوا الله ورسوله، وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ﴿هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى لهم ثواب فى الآخرة غير منقوص ولا مقطوع، بل هو دائم مستمر.

الإعراب:

فَمَا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، لهم جار ومجرور شبه جملة فى محل رفع خبر وجملة لا يؤمنون فى محل نصب حال.
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ	الجملة معطوفة على الجملة الحالية السابقة، إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قرئ فى محل جر بالإضافة للظرف والقرآن نائب فاعل مرفوع وجملة لا يسجدون لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ	بل حرف عطف يفيد الإضراب، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل رفع خبر الذين.
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ	الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع بالضممة الظاهرة، أعلم خبر مرفوع بالضممة الظاهرة، بما الباء حرف جر، ما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلقان بأعلم وجملة يوعون لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.
فَيَبْشِرُهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	فبشرهم فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والضمير "هم" فى محل نصب مفعول به، بعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم، وأليم نعت مجرور.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	إلا أداة استثناء والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن، الذين فى محل رفع مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول، وعملوا الصالحات فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على آمنوا، لهم جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، أجر مبتدأ مؤخر مرفوع، غير نعت مرفوع، ممنون مضاف إليه مجرور والجملة الاسمية فى محل رفع خبر الذين، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا فيكون الذين مستثنى.
--	--

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البلاغة نذكر منها.

❖ الكناية فى قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ كناية عن شدة الهول والعذاب الذى يلقاه الإنسان.

❖ الطباق بين "السماء والأرض".

❖ الجناس بين "وسق وأتسق" وهو جناس ناقص.

❖ المقابلة بين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ .

❖ أسلوب التهكم والسخرية فى قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ حيث استعمل البشارة فى موضع الإنذار للتهكم والسخرية.

❖ السجع المرصع الجميل فى أواخر الآيات وهو غير متكلف يزيد الأسلوب رونقا وجمالا.

